رسائل أعضاء الإرسالية التبشيرية الأمريكية في الخليج

التقرير الأول: "استئناف العمل في الكويت"

لـ جيريت ج. بيننجز (Gerrit J. Pennings)

ترجمة: تركي بن فهد بن عبدالله بن عبدالرحمن آل سعود

مقدمة المترجم:

هذه سلسلة ترجمات لتقارير أعضاء الإرسالية الأمريكية التبشيرية في الخليج العربي، وقد نشرت في مجلة (الجزيرة العربية المُهمَلَة - Neglected Arabia) التي صدر العدد الأول منها في يناير - أبريل ١٨٩٢م (١٣٠٩هـ)، واستمرت إلى عددها الأخير في مارس ١٩٦٢م (١٣٨١هـ) بعد أن تغير اسمها إلى (الجزيرة العربية تدعوكم[١] - Arabia Calling).

وكان نشاط هذه البعثة منصبّاً على التنصير، وافتتحت فروعاً كثيرة لها في بلاد الخليج، وزار أعضاؤها معظم بلاد الجزيرة العربية. ولسنا بحاجة إلى أن نبيِّن ونشرح منهج هذه

(١) الترجمة الحرفية هي (الجزيرة العربية تنادي) ولكنها لا تؤدي المعنى المطلوب.

البعثة وتخطيطها واعتمادها سياسة النَفَس الطويل، فهذا بحث مستقل بذاته، وربما يرى القارئ بعض ملامح هذا كلّه من خلال ما كتبوه وترجمناه هنا، ولكن لا بد أن أُبيِّن الغرض من ترجمة ما كتبه هؤلاء، والفائدة منه.

أولاً: يجد الباحث الذي يدرس مناهج المُنصِّرين، الذين قدموا إلى هذا الجزء من بلاد المسلمين، من خلال ما تُرجِمَ هنا، ما يُساعده على فهم خططهم ومنهجهم وآرائهم إلى غَير ذلك.

ثانياً: تحتوي هذه التقارير على معلومات تاريخية تفيد الباحث في تاريخ الجزيرة العربية الحديث، ونجد فيها أحياناً تفاصيل لا ترد في غيرها من المصادر، فتكون أداة أخرى يسخِّرها الباحث لتبدو تلك الأحداث أو أولئك الأشخاص أكثر وضوحاً.

ثالثاً: قام كثير من أعضاء هذه الإرسالية بالسفر إلى جهات عديدة من جزيرة العرب، ويصف كل منهم في تلك التقارير ما رآه من المواضع والمدن، وهذه فائدة جغرافية للباحث في جغرافية الجزيرة العربية؛ فيُمكن لنا عد هذه التقارير رحلات مُصغَّرة.

رابعاً: كثيراً ما يُركِّز المُنصِّرون على الحياة الاجتماعية لتلك المُجتمعات التي يسكنون فيها، أو تلك التي يقومون بزيارتها، وهذه أيضاً تُفيد دارس علم الاجتماع والمؤرخ؛ فتجدهم يُركِّزون كثيراً على الحالة العلمية والدينية، من حيث تمسُّك الناس بالدين أو بعدهم عنه، إلى غير ذلك من الأمور الاجتماعية.

ولا بد لي أيضاً من تذكير القارئ بأنَّه يقرأ لُمنصِّر، وليس لرحالة شغفه حب السفر والاستكشاف والمغامرة، فلا يستغرب آراءهم وفكرهم. ولكن لنأخذ منهم الفائدة التاريخية أو الجغرافية أو الاجتماعية، مع علمنا بدوافعهم. ولعل أفضل مثال على ذلك هو ما كتبه تشارلز داوتي (Charles Doughty)، أو وليام بلجريف (William Palagrave) وغيرهما، فقد استفدنا منهما استفادة غير قليلة، مع ما كان لديهما من تعصُّب وعنصرية، فلا أقل من أن نقرأ هذه التقارير بتلك العين نفسها.

ولا بد لي أيضاً من توضيح ما اعتمدته من أسلوب في هذه الترجمات، ألا وهو ترجمة المعنى كما كتبه مؤلفه دون نقص، وإن كان هناك زيادة فإني أضعها بين معقوفين [ ]. ولم أعتمد الترجمة الحرفية؛ لأنها في كثير من الأحيان لا تؤدي المعنى في اللغة العربية كما هو في لغتها الأصل.

التقرير الأول: «استئناف العمل في الكويت»

لـ جيريت ج. بيننجز (Gerrit J. Pennings)(*)

تمهيد:

نُشر هذا التقرير في العدد الرابع والسبعين (يوليو - سبتمبر ١٩١٠م) من مجلة الجزيرة العربية المُهملة. وكاتبه قس أمريكي، عمل في الإرسالية أربعة وأربعين عاماً إلى أن تقاعد عام ١٩٤٩م (١٣٦٨هـ)(٢).

وكان الشيخ مبارك الصباح قد استدعى أطباء من الإرسالية الأمريكية إلى الكويت في يناير عام ١٩١٠م (١٣٢٨هـ)، بعد أن التقاهم في الفلاحية(٣)، وكان حينئذ يُعالج عند الطبيب الخاص للشيخ خزعل، وقد استدعاه أيضاً إلى الكويت لإكمال علاجه من مرض السكري(٤). فقدموا إلى الكويت، وبعد الاتفاق الأولي مع الشيخ عادوا إلى البصرة

(*) G. J. Pennings, "Work at Kuwait Reopened," Neglected Arabia, 74 (July-September, 1910), p. 11-14.

(2) Lewis R. Scudder, "Rev. Gerrit J. Pennings, D.D.," Arabia Calling, 248 (March, 1960), p. 17-18.

(٣) الفَلاَّحِيَّة: منطقة تقع جنوب عربستان الواقعة حالياً غرب إيران. انظر: ج. لويمر، دليل الخليج: القسم الجغرافي، قطر: (د.ن)، (د.ت)، ج ٢، ص ٦٦٧ وما بعدها.

(4) W. H. I Shakespear, "Administration Report of the Political Agency, Kuwait, For the Year 1910," in Administration Report of the Persian Gulf Political Residency For the Year 1910, Superintendent Government Printing: Calcutta (1911), p. 94.

ليأتوا بالمعدات والأدوية. وهذا التقرير خاص بزيارتهم الثانية[٥].

وخلال وجود أفراد الإرسالية في الكويت وصل الملك عبدالعزيز ومعه بعض إخوته وأقاربه، في ٢٦ فبراير ١٩١٠م الموافق ١٦ صفر ١٣٢٨هـ. وكان سبب الزيارة - كما ذكر وليام شكسبير (William Shakespear) الوكيل السياسي البريطاني في الكويت - لإيضاح سوء التفاهم الناشئ عن غزوات لقبيلة العجمان في أراضي الشيخ مبارك عام ١٩٠٩م[٦]. وكذلك للحرب التي كان سيشنها الشيخ مبارك والملك عبدالعزيز ضد قبيلة الظفير[٧]. والتقى كاتب هذا التقرير وزميلاه الطبيب آرثر بينيت (Arthur Bennett)، والقس ج. فانٍ إيس (J. Van Ess) بالأمير محمد بن عبدالرحمن أولاً، ثم بالملك عبدالعزيز فيما بعد.

نص التقرير:

في طريق عودته من البحرين في شهر يناير، رأى كاتب التقرير كلاً من: د. بينيت، والقس ج. فان إيس عند وصولهما إلى الكويت. فتساءل عن طريقة الاستقبال الذي سيحظيان

(٥) حول الزيارة الأولى انظر:

Arthur K. Bennett, "A New Beginning at Kuweit," Neglected Arabia, 73 (April-June, 1910), p. 12.

(6) Ibid., p. 90-91.

(٧) انظر: يعقوب عبدالعزيز الرشيد، تاريخ الكويت، بيروت: دار مكتبة الحياة (د.ت)، ص ١٥٩؛ الملك عبدالعزيز آل سعود: سيرته وفترة حكمه في الوثائق الأجنبية، الرياض: دار الدائرة للنشر والتوثيق (١٤١٩هـ/١٩٩٩م)، مج ١، ص ٣٣٥ وما بعدها.

بها، ولم يكن يعلم أنَّه سيحظى بكتابة نتيجة تلك الزيارة للمجلة، وأنه سيخبرنا عن نجاح بدء الأعمال الطبيَّة هناك.

لم يسمح الشيخ [مبارك] فقط ببدء العمل الطبي، بل ووعد بإرسال طرَّاده البحري لنقلهما من البصرة [إلى الكويت] بمجرَّد أن يكونا جاهزين [للقدوم]. وقد وفَّى بوعده، فقد أرسل الطراد بمجرَّد جاهزيتهما. ورغم أنَّ ذلك الطراد أخذ بعض الوقت لكي يعمل في البصرة، إلا أنَّه ما إن دار [محرّكه] حتى انطلقنا دون أية عراقيل، فوصلنا إلى الكويت في اليوم التالي.

وكان الشيخ [مبارك] غائباً عند وصولنا، فقد كان يقود جيشاً(٨) على وشك الهجوم على قبيلة [المنتفق] إلى الشَّمَال(٩). وتم إنزالنا في قصر فخم للشيخ حيث مكثنا أسبوعاً كاملاً. ومع أنَّه قد عاد بعد قدومنا بثلاثة أيام، إلا أنَّه لم يتحدَّث معنا فيما قدمنا من أجله ليومين أو ثلاثة أيام، وذلك وفقاً للعادات الشرقية.

وكنا نتوق للحصول على منزل خاص بنا، إلا أننا كنا نُصبِّر أنفسنا بأنه يجدر بنا أن نكون سعداء بانتظارنا لبضعة أيام إضافية مع قُربنا من هدفنا الذي صلَّت الإرسالية لتحقيقه، وانتظرته لسنوات.

(٨) لم يكن الشيخ مبارك يقود الجيش في تلك المعركة. انظر: الرشيد، السابق، ص ١٥٨؛ أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث وسيرة عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتهما، بيروت: دار الجيل (١٩٨٨م)، ص ١٨٥؛ Shakespear, op. cit., p. 93.

(٩) المقصود هنا (وقعة هدية) في ربيع الأول ١٣٢٨هـ/ مارس ١٩١٠م. انظر: الرشيد، السابق، ص ١٥٨؛ الريحاني، السابق، ص ١٨٤.

وبعد وصولنا بنحو أسبوع، أتى في المساء أخيراً أحد رجال الشيخ ليخبرنا أنه سيصحبنا إلى المنزل الذي وفَّره الشيخ لنا لنبدأ عملنا. ولا بد أن أعترف بأن آمالنا قد خابت لدرجة ما عندما رأينا المنزل. فقد كان كبيراً، ومن أحسن بيوت الكويت في زمن إنشائه، بل إنه كان منزل شيخ [الكويت] السابق، ولكنه أصبح الآن غير صالح للسكن، ولم ينزله أحد لسنوات. فقد غطّت الأرض بضعة إنشات من التراب، وكذلك الجدران التي أدت دور المناشف لليدين فمال لونها إلى السواد، وزيَّنت الأركان الكثير من بيوت العناكب. ولا توجد نافذة إلا في غرفة واحدة فقط. وبعد قليل من الفحص اتَّضح أن المنزل ليس بذلك السوء الظاهر، وأنَّ بعض الترميم والصيانة ستجعله مكاناً مناسباً جداً لبدء عملنا. وبعد أسبوع تقريباً تغيَّر المنزل كلياً من الداخل، فقد فُرشت الأرض بطبقة سميكة من الإسمنت، وتم تبييض الجدران، وفُتحت نوافذ لإدخال أشعة الشمس، فأصبح المنزل بذلك مُناسباً للسُكنى وللأعمال الطبية.

كان عدد المرضى في البداية قليلاً إلى حدٍّ ما، فلم يكن عملنا قد شاع بعد، وكذلك كان يبدو على كثير من الناس نوع من الجفول منّا، ساعد في التخفيف منه أننا تحت حماية الشيخ، الذي طلب من الطبيب القدوم إلى هنا، فبعد أسبوع أو اثنين تنامى عدد المرضى إلى خمسين أو ستين في اليوم الواحد وربما أكثر؛ فقد تمت في أحد الأيام مُعالجة خمسة وتسعين مريضاً.

مُنيت قوات الشيخ التي شنت ذلك الهجوم [على المنتفق] بعد وصولنا إلى الكويت بنحو أسبوعين بهزيمة فادحة، فأتانا بعدها، وعلى مدى أسابيع، عدد غير قليل من الجرحى للعلاج اليومي. وقد صمم الشيخ فوراً بعد تلك الهزيمة على شنِّ هجوم آخر، ولكن بقوات أكبر بكثير هذه المرَّة ؛ ولذلك فرض ضريبة كبيرة على أهل البلد، وجنَّد الكثير منهم، مما سبَّب بعض الاضطراب(١٠)، فانخفضت إلى حدٍّ كبير أعداد المرضى [المُراجعين] لبعض الوقت. فلو كان الوقت وقت سِلْم لوصل عدد المرضى إلى أكثر بكثير من هذا دون شك. ومع ذلك فقد تمَّ علاج ألف وخمسمئة مريض في الشهرين الأولين، ونحن نشعر أن تلك كانت بداية جيدة في هذا المكان الذي مُنعنا عنه من قبل.

وحصلت الإرسالية من الشيخ أيضاً على عقد إيجار للمنزل لمدَّة خمس سنوات، وقد تم تسجيل العقد، بناءً على اقتراح الشيخ نفسه، في مكتب الوكالة السياسية البريطانية في الكويت(١١). فقوي بهذا موطئ قدمنا هنا إلى حدٍّ بعيد. ويعني هذا أن الإرسالية خطت خطوة أكبر في مكان بدأ فيه

(١٠) انظر حول هذه الضرائب:

Shakespear, op. cit., p. 93-94; P. Z. Cox, "Annual Report of the Persian Gulf Residency For the Year 1910," in Administration Report of the Persian Gulf Political Residency For the Year 1910, Superintendent Government Printing: Calcutta (1911), p. 9.

(١١) ذكر المقيم السياسي البريطاني في الخليج في تقريره أن الإرسالية قبلت أن تؤجر بشروط وضعها الشيخ مبارك والوكيل السياسي البريطاني. انظر:

Cox, op. cit., p. 10.

عملنا صغيراً، ومُنعنا عنه لسنوات، ثم استأنفناه مُجدداً، فقد كسبنا كما يبدو وضعاً أكثر قوة من السابق.

ولا يتطلّب الأمر أكثر من إقامة قصيرة في الكويت لإدراك مدى أهميتها للعمل التبشيري، وللوصول إلى المسلمين في المقام الأول. فلا يوجد على الأرجح ميناء آخر على الخليج تجد فيه هذا التأثير للإسلام على الناس. ومع وجود شخص أجنبي واحد في المدينة (الوكيل السياسي البريطاني)[١٢]، ومع عدم وجود تجارة مُعتبرة مع العالم الخارجي لم يشعر أهلها بالتأثيرات التي كانت قد سبَّبت في مدن أخرى الإعراض والانصراف عن الالتزام الديني؛ فإذا كان هنًاك رجلٌ واحدٌ يؤدي الصلاة في البصرة، فإن في الكويت عشرة رجال يقابلونه، فعندما تسير على الشاطئ وقت الغروب ترى أن كل سفينة تقريباً مملوءة بالمُصلِّين، حتى الأطفال الصغار تراهم يؤدّون الصلاة، وهذا ما لم أره من قبل.

عندما تسير على الشاطئ وقت الغروب ترى أن كل سفينة تقريباً مملوءة بالمُصلِّين

وبالرغم من عدم وجود منارات، فإن المساجد كثيرة، وكلها يصلي بها عدد كبير. وعندما يسير المرء في الشوارع أثناء النهار، يسمع بين الفينة والأخرى طنين أصوات الأطفال يرتلون القرآن في المدارس، وهناك شخص كان قد أتى بابنه للعلاج عند الطبيب، ثم أصبح ودوداً جداً معنا فيما بعد، كان

(١٢) هذه المعلومة تحتاج إلى تدقيق، فقد كانت هناك بعثة طبية بريطانية في الكويت قبل قدوم الإرسالية الأمريكية. انظر:

Shakespear, op. cit., p. 95.

في منزله مدرسة للبنات الصغيرات يتعلمن بها القرآن. فهناك تمسُّك كبير بالواجبات الدينية، مما يوضِّح في الوقت نفسه النتائج الشريرة لهذا الدين واضحة عليهم(١٣).

وأؤكد مرة أخرى أنَّ الكويت قاعدة مهمَّة لامتداد عملنا إلى البلاد الداخلية [من الجزيرة العربية]، ونظرة إلى الخريطة تُثبت ذلك؛ فهي تقع على رأس طريق القوافل، وهي واحدة من المداخل الطبيعية لأواسط الجزيرة العربية. ودائماً ما يكون هناك الكثير من البدو يخيمون خارج المدينة، يأتون إليها للتجارة، فيمكثون لمدَّة ثم يعودون إلى الصحراء. ويوجد إلى جانب هذا صلات وثيقة بين الكويت ونجد، وتجارة القوافل سائرة بينهما بشكل مستمر، فكثير مما يصل [إلى الكويت] من البضائع يجد طريقه إلى داخل الجزيرة العربية، وكثير من سكان الكويت قد زاروا نجداً في وقت أو آخر، كما أن عدداً غير قليل منهم وُلِدَ فيها.

وغالباً ما يزور بعض حكام نجد الأقوياء الكويت، فعندما كنا في قصر الشيخ [مبارك] زارنا في حجرتنا محمد [بن عبدالرحمن] أخو حاكم جنوب نجد، وكان ودوداً جداً معنا. ثم كان لنا الحظ فيما بعد أن زُرنا عبدالعزيز بن سعود، الحاكم شخصياً، في خيمته؛ فهو حالياً في الكويت لمساعدة شيخها في حروبه.

(١٣) من المُنتظر أن يصدر هذا الكلام من مُنصِّر يكره أن يرى المسلمين مُتمسّكين بدينهم. فهو يرى أن تمسّكهم بدينهم وحرصهم عليه يجعل تقبُّلهم لما أراد أن يبثّه بينهم أصعب وأكثر تعقيداً مما هو الحال عند غيرهم.

من اليمين: تركي الأول بن عبدالعزيز، ثم عبدالله بن عبدالرحمن
التُقطت هذه الصورة في قصر الشيخ مبارك(١٤)

ويتَّضح مما سبق أن العمل التبشيري المُنظَّم في الكويت لا بد أن ينجح في مدِّ التأثير على القسم الشرقي كله من الجزيرة العربية، بل وإلى نجد نفسها. ويبدو لي أن الأمل الوحيد في وصول العمل التبشيري إلى داخل الجزيرة بشكل فعَّال وأبدي، هو التركيز على العمل المُؤثِّر في مركز استراتيجي كالكويت، وستضعف بهذه الطريقة المعارضة

(١٤) ورد في الأصل أنها صورة لابني العائلة الحاكمة في نجد، ولم تحدَّد الأسماء.

والكُره اللذان نواجههما؛ لأن من نُعالجهم هنا سيعودون إلى قلب الجزيرة، وسيصبح الطريق جاهزاً [بسببهم] لاستقرار بعثة تبشيرية في نجد نفسها بشكل نهائي.

كنا في الماضي ندعو من أجل أن تُفتح لنا أبواب الكويت، وهاهي قد فُتحت لنا على مصراعيها، واستُجيبت دعواتنا؛ فالآن يمكننا بوصفنا إرساليةً وكنيسةً تتمتَّع بالكياسة والحكمة، أن ندخل ونمتلك الأرض من أجل المسيح(*).

(*) تمكن الملك عبدالعزيز - رحمه الله - من الاستفادة من أطباء الإرسالية الأمريكية رغم إدراكه طبيعة عملهم الدينية، واشترط عليهم عدم التعرض للمسائل الدينية بأي شكل من الأشكال. ونتج عن ذلك خدمة المواطنين السعوديين بإتاحة خدمات علاجية متعددة لهم دون تسجيل أي نشاط تنصيري في المملكة كما كان يتمناه أولئك الأطباء. انظر بول أرميردينغ: أطباء من أجل المملكة، ترجمة د. عبدالله بن ناصر السبيعي، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز (١٤٢٥هـ).